

بتطور الشعر العربي ، فإذا سلمنا بأن أي تغير جوهري لم يتم في الشعر العربي على نحو يخرج به عن الجزئية والغنائية ، فقد ينبغي أن نسلم بذلك في النقد أيضاً .

ب - في النقد الإسلامي :

على أن المرء هنا يستوقفه سؤال جوهري يتعلق بأثر الإسلام في النقد ، إذ إن طبائع الأمور تقتضي أن يؤثر الإسلام في النقد مثلما أثر في شتى العلوم الأخرى ، ولا سيما أن المجتمع انتقل من البداوة إلى الحضارة ، ومن البساطة إلى التعقيد ، ومن الذوق إلى العقل ، بيد أن شيئاً من ذلك لم يحصل ، لأن قوة الشعر الغنائي تأبت على كل تغير ، وكأن التمسك بهذه الغنائية كان تمسكاً بالذوق البدوي أن يضيع في شتات الثقافات الأعجمية الوافدة ، أو لأن الذوق الجماعي المتجلى في الشعر يعسر تغييره وانتقاله بسهولة من طور إلى طور ، وقد اتفق أن النقد راح يفسر هذه الغنائية ويشتتها ، ويعللها ، ويحرم الخروج عليها ، عوضاً من أن يدرسها على أنها ظاهرة من ظواهر الشعر ، ولكنها ليست الشعر ، ولا سيما فيما يتعلق بملاحظتها ، المغالية في إنكار الصدق الفني .

ولا ريب أن القرآن الكريم كان له أثره الأدبي واللغوي ، فضلاً عن أثره الديني والروحي ، وإذا كانت اللغة مظهراً لمضمون ، فلا مناص من التسليم بأن اللغة العربية دخلت في طور جديد عندما عبرت عن المضمون القرآني ، لا جرم أنه غير طورها الجاهلي الذي كان محدود المعاني ، بسيط الأفكار ، فها هنا قوة في المعنى اقتضت قوة في التعبير ، وقوة المعنى عندما يكون المعنى إلهياً تختلف بلا ريب عن قوة المعنى عندما يكون المعنى بشرياً ، والقول في النهاية مظهر قوة القائل ، وإذن فالمرء يفترض أن شيئاً ما لا بد أن يتغير في الشعر بعد القرآن ، وفي النقد بعد القرآن ، غير أن القرن الأول ينقضي ، وينقضي بعده القرن الثاني ، بله الثالث ، وليس في شعر العرب ، أو في نقد العرب ، شيء تغير ،